

ثورات الجيوش الرومانية و حكم الأباطرة الأربعة

Roman Military revolts and the rule of four emperors

الأستاذ الدكتور- سيد أحمد علي الناصري - جامعة القاهرة

الأستاذ الدكتور - رحمان بلقاسم جامعة الجزائر2

rahmanibzh@gmail.com

تاريخ الاستلام: 2026/02/27 تاريخ القبول: 2026/03/10 تاريخ النشر: 2026/03/13

الملخص

لقد عاشت الإمبراطورية الرومانية أحداثا سياسية، و عسكرية خطيرة أثرت على وضع روما العسكري، خاصة في المناطق التي سيطرة عليها، كذلك أثرت على الجيوش الرومانية في هذه المناطق، مما أدى إلى ضعف السلطة المركزية في روما، ومن أبرز هذه الأحداث ما يعرف بقيام الجيوش الرومانية، وخاصة القيادات العسكرية الأربعة قيامهم بمحاولة الإستيلاء على الحكم، بل والقيام بعملية انقلابية ضد النظام المركزي في روما، ولهذا اخترنا دراسة هذه الوضعية الحرجة والخطيرة في التاريخ السياسي والعسكري الروماني، من ذلك أنه كان لها تأثير على مصالحها الخارجية، بل وعلى مستقبلها، واهتزاز نفوذها السياسي والعسكري، و من أبرز هذه الثورات، ثورة اليهود، وثورة الجرمان، وثورة الأباطرة الأربعة (67-68 ق م)، وذلك إثر اغتيال الإمبراطور نيرون.

الكلمات المفتاحية: الرومان، الجيوش، الثورات، الأباطرة الأربعة، روما

ABSTRACT :

The Roman Empire experienced serious political and military events that affected Roman's military positions ;as well as the Romans remixes In the regions it controlled this led to a weakening of central authority in Rome ,and among the most prominent of these events was the attempt by the four Roman military commanders to seize powers, and Even to carry out coupons , against the central regime Rome . the for we choose to study this critical situation and its map, which had an impact on its foreign interests and its colonial future ,as well asthe operation of bits military and political influence, the most prominent these revolts were the jewish revolt , the” gallic revolt, the germanic revolt ,and the revolts of four emperors ,(68 -67 bc) beginning with the assassinatiion of emperor Nero.

KEYWORDS: Romaan , Military ,Revolts ,Four Emperors Rome

شهدت روما الكثير من الأحداث السياسية والعسكرية، والتي هزت أركان النظام الروماني، ومن أهمها وأخطرها الثورات التي قامت بين سنتي (68 - 69م) لقد كان لاغتيال " نيرون " أن اندلعت أحداث خطيرة، حيث أن النظام الذي سنه " أغسطس"، تبعه خلفاؤه ظهر وأنه لم يعد يتماشى والمستجدات التي حدثت بعد حادثة الاغتيال المذكورة، أن برزت مشاكل خطيرة وجب إيجاد حلولها، خاصة كيفية الحفاظ على وحدة الإمبراطورية من التدهور والتفكك، وضرورة العمل على جدية لإيجاد نظام دستوري كأساس للحكومة الرومانية المركزية، وطريقة الحفاظ على العنصر الروماني في هذه الجيوش، وضمان حقوق المواطن الروماني ضمن أسس هذا الدستور، ولقد تأكد الساسة الرومان مدى أهمية وخطورة هذه القضايا، وأزمات التي واجهت الإمبراطورية، الملاحظ أن هذه المشاكل وما تبعها من أزمات كان من نتيجتها ظهور حركات التمرد، حيث تتابع ظهورها، خلال سنتين منها ثورة اليهود في فلسطين، وثورة الغال، وثورة الجرمان، أدى ذلك إلى ظهور أربعة أباطرة، وذلك في الفترة ما بين 68 و69 ميلادية، ونسجل هنا أن جيوش الإمبراطورية سيطرة في الراين في إسبانيا، والدانوب لفي، وفي الشرق على التطورات السياسية في روما، ومن هذا اتضح أن الجيوش والحرس الإمبراطوري هم من يصنع الأباطرة، ويضعونها فوق ش، ولقد عبر عن ذلك المؤرخ الكبير تاكيتوس قائلا: " لقد أُميط اللثام عن سر الإمبراطورية الفتاك، (R.Syme pp 175) ويعني ذلك أن الجيوش من خارج روما هي التي ترشح الحاكم الجديد،

لقد أثبتت الأحداث التي اندلعت ما بين سنتي 68 و69 ميلادي كيف أن قدر الإمبراطورية يتمثل في ثكناتها المتواجدة على الحدود، واتضح أن قادة الجيوش هم محركي هذه الأحداث، وأنهم سادة الشعب الروماني، وهنا نسجل أن القيادات العسكرية العليا استغلوا رصيدهم الشعبي، وكذا مصداقيتهم بين صفوف جنودهم، بسبب سوء معاملة الأباطرة لقادة الجيش، والملاحظ أن الجندي الروماني في هذه الفترة ما هو إلا وسيلة لتحقيق أهداف قادتهم، حيث أن هؤلاء القادة ظلوا يتحينون الفرصة لتحقيق مآربهم، (Omissi .A,2018 pp 9, 14, 17, 24)، وتؤكد المصادر أن أخطر هذه الثورات، ثورة اليهود في فلسطين، وثورة بلاد الغال الكبرى، وما يحاك في القصر من مؤامرات عندها اتجه كل جيش في الحدود إلى ترشيح قائده لتولي زمام الإمبراطورية، الحاكم الفعلي للبلاد، وإخماد هذه التمردات .

٢- عام ثورات الجيوش وتولى الأباطرة الأربعة (68-69م):

أعقب اغتيال نيرون أحداث جسام ثبت فيها أن نظام حكم المواطن الأول الذي أوجده أغسطس وسار عليه خلفاؤه لم يعد يتماشى والظروف الجديدة التي سادت الإمبراطورية، وبرز أمام الرومان قضايا هامة كان عليهم أن يضعوا لها حلولاً وهي كيفية الحفاظ على وحدة الإمبراطورية التفكك ووضع الأسس الدستورية التي يجب أن يقوم عليها نظام المواطن الأول، وكيفية يمكن جعل جيوش الإمبراطورية ملتزمة بأوامر الحكومة المركزية في روما. وكيفية إمكان الحفاظ على سيادة العنصر الروماني في هذه الجيوش.

لقد أوضحت الأزمات والمشاكل التي واجهت الإمبراطورية الرومانية أهمية هذه القضايا وأصبح حكم الإمبراطورية أشبه بالإمسك بالذئب من أذنيه (Suetonius Tiberius 25.1) وهذه الأزمات هي حركات التمرد التي قامت واحدة

تلو الأخرى على مدى عامين مثل ثورة اليهود في فلسطين، وثورة الغال وثورة الجرمان وكانت النتيجة هو بروز أربعة أباطرة في الفترة ما بين 68 وديسمبر 69 ميلادية، وسيطرت جيوش الإمبراطورية في الراين واسبانيا والدانوب وفي الشرق على مجرى الأحداث السياسية في روما، بل وأصبحت هذه الجيوش بالتعاون مع الحرس الإمبراطوري هي التي تصنع الأباطرة ونضعهم فوق العرش.

وكما عبر عن ذلك مؤرخ الرومان العظيم تاكيتوس بقوله أن: " لقد أُميط اللثام عن سر الإمبراطورية الفتاك " . (Tacitus ; P') 183 Annales 83 ef ; R SYME و هو أن ترشح الجيوش من خارج روما الرئيس الجديد وجدير بالذكر أن نظام حكم المواطن الأول بالرغم من أنه كان يقوم من الناحية النظرية على الرأي العام وموافقة جماهير الشعب الروماني، لكنه في تطبيقه كان يعتمد على قوة المواطن الأول، والتي بدورها كانت تعتمد أساسا على ولاء الجيش.

وقد أثبتت أحداث عامي 68 و 69 ميلادية كيف أن قدر الإمبراطورية يكمن في ثكنات جيوشها القابعة تحرس الحدود، وأن زعماء الجيش كان في استطاعتهم أن يكونوا المحركين وقد وجد الأصلين للأحداث والسادة الحقيقيين للشعب الروماني الجنرالات الكبار فرصة لاستغلال شعبيتهم بين قواتهم بسبب سوء معاملة الأباطرة لقادة الجيش (Tacitus History 75 ; -6) من أجل تحقيق أحلامهم في السلطة أي أن الجندي الروماني لم يكن سوى وسيلة الوصول بالنسبة لجنراله، وقد ظل الجنرالات يتحينون الفرصة حتى وانتهت عندما اندلعت حركتان من أخطر حركات الثورة والتمرد الأولى ثورة اليهود في فلسطين والثانية ثورة بلاد الغال الكبرى، ووسط غموض المعارك ومؤامرات القصر الإمبراطوري أخذ كل جيش من جيوش الحدود يرشح جنراله إمبراطورًا على البلاد، ولذا فلنتوقف لحظة لنتحدث بشيء من التفصيل عن حركتي التمرد اللتان أتاحت الظروف للجنرالات للتأهب والقفز على السلطة.

٢- ثورة اليهود الكبرى في فلسطين:

لقد نجح الرومان في صهر الكثير من الشعوب التي ضموها إلى حوزة إمبراطوريتهم ثقافيا وفكريا، وخلقوا نوعا من العالمية الحضارية، ولكن شعبا واحدا استعصى أمره على الرومان ورفض الاندماج في العالمية الرومانية الجديدة ألا وهم اليهود، وذلك لأن نظرهم إلى الدين بالنسبة لكيانهم السياسي اختلفت، نظرة الرومان.

ففى نظر اليهود الدولة خادم للعقيدة أي أن الدولة فرع من المعبد الديني، أما نظرة الرومان فقد كانت بعكس ذلك تماما وهو أن المعبد خادم لجهاز الدولة الكبير ووسيلة من وسائل الحكم (متى، الإصحاح 27)

وكان يوليوس قيصر قد تمكن من إيجاد نوع من العلاقة والتعايش السلمي modus vivendi مع اليهود عن طريق إصداره مجموعة من القرارات والتشريعات التي تعترف بوضع اليهود كقومية ذات كيان معين بين شعوب الإمبراطورية، ونتيجة لذلك اعفهم واستثنتهم من بعض الالتزامات التي وجدها تعارض عقيدتهم. (Good man.2007, p 20)-

وقد استمرت هذه السياسة في عهد الإمبراطور أغسطس الذي اعتمد على سيطرة صديقه هيروودس الكبير على شعبه اليهودي والذي نجح بوسائل القمع أن يجعل شعبه المشاغب يلتزم بالإسلام الروماني. ولما مات هيروودس

الكبير عام 6 ميلادية أصبحت دولة يهوذا أشبه بولاية لها حاكم خاص ولكن تحت إشراف الحاكم الروماني لولاية سوريا ولم يكن لحكام ولاية يهوذا المحليين أي سلطة استقلالية معينة بل كانوا اسمين فقط.

ولما حاول الإمبراطور جايوس أن يفرض عبادته بالقوة على اليهود، وأن ينصب تمثالا لعبادته داخل المعبد الكبير في أورشليم، ثار الشعب اليهودي وبدأ يحس بعدم الاستقرار، واستيقظت عقدة الخوف من المستقبل المتأصلة في نفسية اليهودي. وكان الإمبراطور جايوس قد حاول إعادة الهدوء إلى نفوس اليهود بتعيين حاكم يهودي هو هيرودس أجريبا الأول عام 41 ميلادية حاكما على ربع يهودية *Judaica*، ولكن في عام 44 ميلادية أعاد كلاوديوس النظر في أمر اليهود بعد موت ملكهم هيرودس أجريبا، وحول فلسطين إلى مقاطعة تابعة لولاية سوريا الرومانية وتحت إشراف الحاكم فيها. (25 - 11 Honora Howell, 2016 p)

ومما زاد الأمر سوءا هو تفجير الصراعات الطائفية والاجتماعية بين اليهود أنفسهم، إذ لم يتوقف الصراع القومي بين اليهود وسكان فلسطين الأصليين من غير اليهود والذين أطلقوا عليهم اسم الجويميم ((Gentile أي (الأغيار) وكان سكان فلسطين من غير اليهود ينتمون إلى الشعب الكنعاني والفلسطيني وهم سكان البلاد الأصليين، وبعبكس اليهود كان الفلسطينيون والسوريون قوم مسالين قبلوا الثقافة الهيلينية وعاشوا في سلام في مدن فلسطين التي اتخذت الطابع الهلنستي، وتمتعوا بالزواج الاقتصادي في ظل السلام الروماني. (سيد أحمد علي الناصري، 1978، ص 179).

ولكن الصراع القديم بين اليهود والفلسطينيين لم يتوقف منذ هجرة ومقدم اليهود الأولى إلى فلسطين ومقاومة سكانها الفلسطينيين لهم كما تروى التوراة ذاتها فصول هذا الصراع. (سفر التثنية الإصحاح 25) وأكثر من هذا دب الصراع داخل الجبهة اليهودية ذاتها، بين اليهود المحافظين المتطرفين الذين كانوا يدعون إلى التمسك بحذافير التوراة والذين كانوا يعرفون بالفريسيين (Pharisees) وبين اليهود المتحررين المثقفين بالثقافة الإغريقية والذين قبلوا الروح العالمية، ومن ثم لم يجدوا مانعا في أن يتفاهموا مع الرومان. وكان معظم هؤلاء ينتمون إلى الطبقات العليا للمجتمع اليهودي والذين كانوا يعرفون بالصدوقيين ((Saducees بل أن الصراع نشب أيضا بين الجنود والضباط الرومان من ناحية وذلك لأنهم ضاقوا ذرعا بالتطرف والانغلاق اليهودي وسأموا العادات والأخلاق اليهودية، وبين جماهير اليهود الذين اتهموا الرومان بالتعسف والعنف ونظروا إليهم على أنهم شعب وثني يعبد الأصنام ومن ثم شعب أقل مرتبة أي " الجويميم " ووسط خضم هذا الصراع المعقد تدهور اقتصاد فلسطين، وزحفت الصحراء الجرداء على الرقعة الزراعية، وبدأت آثار هذه الأزمة تضفي طابعها على الأحوال المتدهورة وتزيد الموقف اشتعالا (الناصرى، 1978، ص 179)

وفي عام 66 ميلادية اندلعت في مدن فلسطين الثورات وأعمال الشغب وحدث بعضها في مدينة قيصرية مقر المندوب الروماني، وكان اليهود يطالبون بالمساواة في الحقوق السياسية مع باقي المواطنين من غير اليهود، وحدث البعض الآخر في أورشليم عندما صادر الحاكم الروماني سبعة عشر تالنتا من خزائن المعبد الكبير مقابل متأخرات الضرائب المفروضة (p 2010 J J Bloom 21) على اليهود، ولم يعبأ الرومان في بادئ الأمر بأعمال الشعب التي قام بها اليهود احتجاجا على ذلك مثل رفض تقديم

الأضاحي في هيكلي سليمان من أجل سلامة الإمبراطور، ثم سرعان ما اتخذ هذا الشعب طابعا قوميا منظما تحول إلى ثورة ضد الرومان، تولى قيادتها كهنة اليهود وأخبارهم. وفي فبراير عام 67 ميلادية أرسل " نيرون " أحد كبار قادته وهو الجنرال فلافيوس فسباسيانوس (Flavius Vespasianus)،

وكان هذا القائد عصاميا من أصل اجتماعي بسيط مما جعل الإمبراطور يعتقد أن ذلك سوف يجعله لا يفكر في انتزاع السلطة مستقبلا ولكن ثبت خطأ الإمبراطور. وقبل فسباسيانوس المهمة شاكرا ووصل إلى فلسطين، وعن طريق الخطط الدقيقة والمدروسة وبفضل الملل الذي بدأ يتسرب إلى نفوس الثوار اليهود أنفسهم بدأ فسباسيانوس في تطهير جيوب المتمردين واحدا بعد الآخر حتى كاد أن يطهرها تماما منهم . (Patrick O Donovan 1966 ;P14-19)
وبينما كان فسباسيانوس يحاصر المتمردين اليهود في أورشليم، وصلت الأنباء تفيد بأن ثورة قد حدثت في روما، وأن الإمبراطور نيرون قد أخذ حياته بيده، عندئذ قرر الجنرال أن يستمر في حصار المدينة حتى تسقط أو حتى يتضح الموقف الغامض في روما.

٢- ثورة الغالين بقيادة يوليوس فندكس (Julius Vindex):

أتت السياسة التي زرعها يوليوس قيصر أكلها في بلاد الغال، إذ انتشرت الثقافة اللاتينية بسرعة بين الغالين، وأصبحت قطعة من أقاليم روما، وازدهرت البلاد بالحضارة والتقدم الروماني، وفتح السناتو الروماني أبوابه لشيوخ الغالين، وكانت هذه البلاد مسالمة إلا من بعض حركات صغيرة ومحدودة مثل حركة يوليوس فلوروس (Julius Florus) ساكر وفير (Julius Sacrovir) إبان حكم تيبيريوس حيث أمكن القضاء عليها بسرعة.

كذلك حاول الرومان نشر الحضارة اللاتينية بين القبائل الجرمانية عبر الراين، وسلك الرومان نفس السياسة التي سلكوها مع الغالين، فلم يتدخلوا في نظام القبائل التي كانوا ينقسمون إليها، وانعمت روما على بعض الأفراد بالجنسية الرومانية حتى تربطهم بها،

وحاولت روما توسيع هوة الخلاف بين القبائل المتنافسة حتى تجعل هذه البلاد في حالة ضعف تام وتحول دون قيام وحدة جرمانية وطنية تهدد الوجود الروماني كذلك شجعت روما الجرمان على قبول الخدمة العسكرية في قواتها المساعدة تحت قيادة ضباط جرمان، وكان هذا نجاحا للسياسة الرومانية، لأن هذه القوات الجرمانية هي التي دافعت عن حدود روما ضد أشقائهم الجرمان الثائرين على الرومان.

من الواضح أن ثورة لتدكس (Julius Vindex) في بلاد الغالين لم تكن في الأصل ثورة قومية موجهة ضد الرومان كرومان لأن فندكس نفسه كان متشبعا بالثقافة الرومانية وكان حاكما لمقاطعة " ليون " (lugdunensis Galia)، بل كانت الاسباب اجتماعية. (Ernest Carry , 1927 , p 173-219)

وقد وجه فندكس نداء إلى حاكم إسبانيا البعيدة وكان اسمه سولبيكيوس جاليا (Sulpicius Galia) ليقود حركة " إنقاذ الجنس البشري " . (Mattingly vol .1 . ppl 11 -20) ولكن جاليا أثر التريث عندئذ تحركت القوات الرومانية

المرابطة على طول نهر الراين القمع هذه الثورة خوفاً من أن تمتد إلى ألمانيا مثل ثورة الغال التي حدثت في عهد تيبريوس، ومن أجل فرض الهدوء داخل الحدود وخارجها، وبالفعل قاد الجنرال فرجينوس ((Verginius قائد قوات الراين الحملة، ونجح في سحق الثوار تماماً. ولما طالبت القوات المنتصرة قائدها بأن يتولى منصب الإمبراطور بدلاً من نيرون رفض فرجينوس ذلك بشدة لأنه كان يعلم جيداً حقيقة الأحوال في روما.

٢- الجنرال جاليا يتولى الإمبراطورية (من إبريل 68 حتى يناير 69):

وفي اليوم الثاني من شهر إبريل 68 ميلادية أعلن الجنرال جاليا قبوله تأديب فندكس، وأعلن أنه يضع نفسه رهن السناتو والشعب الروماني، وكان هذا تحدٍ لسلطة نيرون في وقت استولى فيه الجنون على هذا الإمبراطور فراح يفتك بخيرة الجنرالات من أمثال كوربولو ((Corbulo وحكام ولايتي ألمانيا العليا والسفلى، بل وحذر جنوده وأصدقائه من غضب الإمبراطور وفتكه وبعد هزيمة لفندكس أصبح جاليا في موقف يائس وذلك لضالة ما تبقى له من قوات، بالرغم من تأييد الجنرال أوتو (Otho) حاكم مقاطعة لوسيتانيا Lusitania له، ولكن فجأة جاءت الأنباء بالانقلاب الذي قام به الحرس الإمبراطوري ضد نيرون، بل دعى نيمفيديوس ((Nymphidius قائد الحرس الإمبراطوري - جنوده لتأييد جاليا مدعياً أن هذا الأخير سوف يغدق عليهم بهبة مالية كبيرة. (Elton Charles , 1996 pp 88 , 112)

ووافق السناتو على ذلك لأن جاليا كان ينتمي لعائلة محافظة من أقدم العائلات الرومانية. كما كان سجل حياته مشرفاً وسيرته مستقيمة. ولكن خلال الفترة القصيرة التي حكمها جاليا ارتكب أخطاء كثيرة أفقدته شعبيته كما أفقدته أصدقائه، فقد كان حازماً ملتزماً بتطبيق النظام إلى أقصى درجة. ولم يكن تنقصه الرغبة في الإصلاح بل كانت تنقصه الحصافة والدهاء، وقد يشرح ذلك تعليق تاسيتوس عليه بقوله: " لقد كان رجلاً مناسباً للحكم ولكن ليته لم يحكم " (Tacitus .I 1-3 Syme :pp 203 - 206) إذ لم يكن له الذكاء والمراوغة الذي كان للإمبراطور أغسطس، بل كان أقرب في ذلك إلى تيبريوس، بل لم يكن جاليا جاداً في كسب أصدقاء يقفون إلى جانبه، أو مهتماً بإصلاح شئون الإمبراطورية وهو في ذلك أبعد بكثير عن تيبريوس.

ومن الأخطاء الجسم التي ارتكبها جاليا لجوئه إلى العنف، مثلاً عندما وقف حاكم إفريقيا وحاكم ألمانيا السفلى موقف التحدي منه دبر جاليا اغتيال الأول وكلف رجلاً اسمه فابوس فالينس (Fabius Valens) وكان يعمل مساعداً لحاكم ألمانيا الصغرى باغتيال الثاني، وبلغت الرعونة بالإمبراطور الجديد أنه كافاً القاتل المأجور (enderson W;Henderson ;1928 P).

كذلك نسي جاليا وقوف نيمفيديوس قائد الحرس إلى جواره فنحاه عن منصبه، وعين أحد أصدقائه ويدعى لاقو ((Laco، ومن ثم أثار عليه استياء الحرس الإمبراطوري صانع الأباطرة، بل ذهب إلى أبعد من ذلك ورفض منح الحرس الهبة المالية التي روى أنه وعدهم بها نظير مساعدتهم إياه للوصول إلى العرش. (Grant Michael , 1985 , p 163 - 167)

وأكثر من هذا استدعى الجنرال فيرجينوس من وسط جنوده في ألمانيا العليا حيث كان يتمتع باحترام وتبجيل وعين مكانه شخصاً عديم الأهمية والشخصية. ولما وصل فيرجينوس إلى روما تجاهله جالبه تماماً مما أثار

غضب قوات الراين ضده. كذلك لجأ جاليا إلى الإعلان عن محاكمات ضد مغتصبي المال العام في عهد نيرون مما أثار مخاوف الأغنياء من المحققين خوفا من إلصاق التهم بهم طمعا في مصادرة أموالهم. لقد كانت هذه المحاكم فاشلة لأنها تركت المجرمين الحقيقيين يعيشون في روما فسادًا من أمثال: تيجالينوس ((Tigellinus وبعض اصدقاء الإمبراطور الجديد الذين راحوا يملأون جيوبهم على حساب تمسحهم به وتزلفهم اليه. (4 Omissi, 2018 p)

هكذا انتشر الامتعاض العام إزاء تصرفات هذا الإمبراطور الأرعن، ووصل ذلك إلى ثكنات الجيش الروماني على ضفاف الراين خاصة بعد أن فقد وزعيمة المفدى فرجينوس، كذلك، استاءت قوات الراين لاتجاه الإمبراطور نحو محاربة فندكس واتباعه الذين حاربوه بالأمس الناصري، (1978، ص 183)

ولما جاء الأول من يناير عام 69 ميلادي رفضت هذه القوات تجديد ولائها للإمبراطور أو أن تقسم يمين الطاعة له. ولما سمع جاليا بذلك سارع بتبني خليفة له أمله يجد منه بعض العون والتأييد وكانت فكرة لا بأس بها لولا أن جاليا أساء الاختيار فبدلا من أن يختار شخصية قوية ذات نفوذ شعبي وعسكري مثل فرجينوس أو حتى ماركوس سالفوس أوتو اختار ارستقراطيا اسمه ماركوس كالبورنيوس بيسو ((Calpurnius Piso Marcus، ولكن بيسو بالرغم من نبالة أصله ومولده ونظافة صحيفته لم يكن بالشخص القوي، بل انه لم يكن محنكا في الحياة لأنه كان شابا في مقتبل العمر عديم الدراية بفن الحكم والأعيب السياسة.

وقد أغضب هذا الاختيار الجنرال أوتو كثيرا والذي كان من أشد المتحمسين لجاليا في وقت من الأوقات، فضلا عن أنه كان شخصية مرموقة فقد كان زوجا لبوبايا سابينا التي اغتصبها منه نيرون وتزوجها. ولم تنتظر قوات الراين حتى يأخذ الإمبراطور خطوة ثانية اذ أعلنت ولاءها لحاكم ألمانيا السفلي أولوس فيتيلليوس ((Aulus Vitellius والذي كان يتمتع بجماهيرية كبيرة وطالبت أن يكون هو الإمبراطور بدلا من جاليا ولكن في الخامس عشر من يناير ثارت قوات الحرس الإمبراطوري وفتكت بجاليا وخليفته وأعلنت أن أوتو هو الإمبراطور وليس غيره.

٢- الإمبراطور أوتو: 1 من يناير حتى ابريل 69 ميلادية:

ولم يتردد أوتو في قبول دعوة الحرس الإمبراطوري، وابسط يده كل البسط لترضية الجنود. ووافق السناتو على مضض بالرغم من أنه حزن المصير جاليا الذي كان ينتهي إلى أسرة سيناتورية قديمة. وأعلن السناتو منح أوتو السلطة التريونية التي كانت تمنح عادة للإمبراطور وكذلك الإمبريوم الأعلى. كان أوتو ينتهي إلى أسرة طيبة ولكنها لم تكن أسرة ذات أصول عريقة في التاريخ الروماني، وكان رجلا قادرا لأنه أثبت كفاءته أثناء حكمه لمقاطعة لوسيتانيا لمدة عشر سنوات متتالية، وكان الإمبراطور نيرون قد عينه في هذه الوظيفة حتى يخلو له الجو مع زوجته بوبايا سابينا تمهيدا لتطليقها منه وزفافها للإمبراطور المتيم يحبها. (SYme pp 152 -156 , p 205)

وعلى أي حال بعد موت جاليا وولى عهده بيسو، أرسل أوتو الى السناتو يطلب السلام ويعرض خدماته، وهو يعد بتصحيح بعض الأخطاء التي ارتكبها جاليا في حق أعضائه الموقرين، وبينما كان هذا التقارب يحدث كانت قوات الراين تتحرك نحو ايطاليا لتثبيت فيتيلليوس على العرش، وبالرغم من عزوفه عن ذلك إلا أن مساعديه

فالينس و كايكينا (Caccina) أعلنوا أن قوات الراين لن تسمح مرة أخرى لقوات الحرس الإمبراطوري باختيار وفرض الإمبراطور

الجديد على الدولة والجيش وعبرت الجيوش جبال الألب بالرغم من ثلوج الشتاء المتأخر حتى وصلت سهل البو في مارس عام 69 ميلادية. وحاول أوتو مقاومة هذا الزحف إلا أن قواته كانت مبعثرة على جهات متعددة ولم يستطيع حماية معابر جبال الألب بما لديه من قوات، بل تسرع في إعلانه تحديه للجيش الراين دون انتظار تلقى المساعدات من جيش الدانوب، وفي أبريل من نفس العام لاقى قوات الراين قرب كريمونا (Cremona) حيث ألحقت به هزيمة ساحقة. (Tacitus II; 40;1)

وبالرغم من أن أصدقائه نصحوه بتجميع ما لديه من قوات مواليه في الولايات إلا أن أوتو تعجل وقرر أن يأخذ حياته بيده مفضلاً ذلك عن الدخول في مغامرة غير مضمونة عواقبها. وحتى لا يعرض نفسه لفتك غريمة.

٢- الإمبراطور فيتيلليوس: (من أبريل حتى ديسمبر 69):

بعد انتحار أوتو أعلن السناتو موافقته على اختيار فيتيلليوس مواطناً أول وإمبراطوراً، وبذلك وضع حداً للصراع بين القوات والقواد. وعادت قوات الدانوب التي كانت قد جاءت لتثبيت أوتو على العرش وهي غاضبة، بل إن الإمبراطور الجديد أراد أن يعاقبها فكلف إحدى كتائبها ببناء مسرح (amphitheatre) في بلدة كريمونا (Cremona) التي شهدت الصراع الدموي بين أنصار الإمبراطور الجديد من قوات الراين وأنصار الإمبراطور المنتحَر من قوت الدانوب، وكان هذا عملاً شاقاً بالنسبة لهذه القوات و عقاباً صارماً على ما اقترفته. وأخذ فيتيلليوس يسرح قوات الحرس الإمبراطوري القديمة ويعين بدلاً منها قوات جديدة منتقاة من بين قوات الراين. وفي أثناء عودة قوات الراين المناصرة لـ: فيتيلليوس ارتكبت عدة حماقات أثناء مرورها عبر المقاطعات الإيطالية وبلاد الغال مثل نهب بعض المدن الأسلاب بطريقة استثارت المواطنين، وكانت بداية النهاية للفترة وجمع الأمن التي سادت منذ انتصار أوكتافوس على أنطونيوس عام 31 ق.م. وأدرك الرومان خطر الجيش إذا ما فقد زمام الموقف وخرج عن النظام).

Charles Rivens ,2016 p 30 40)

كان قيتلليوس رجلاً طيباً، سليم الطوية، زاهداً في الحكم والعرش فأصبح بذلك العوبة في أيدي دعاة الصراع ومراكز القوى، وكان أبوه صديقاً للإمبراطور كلاوديوس ومن أخلص أنصاره واكفأهم، وحاول أن يستغل ذلك لتقوية مركزه ولكن عبثاً إذ كان رجل ما دب ذواقاً للطعام الفاخر، وتترف الحفلات فانغمس فيها تاركاً كل شيء (Syme , pp 189 -190 , P205)

ليسير كما تبقى الأقدار مما جعل قوات الجيش الروماني في الشرق تبحث لها هي الأخرى عن بطل تحمله على أسنة الحرب إلى عرش الإمبراطورية، وقاد الدعوة إلى ذلك حاكم ولاية سوريا ليكيانيوس موكيانوس (Licinius Mucianus) ووالى مصر اليهودي المرتد تيبريوس ألكسندر (Tiberius Alexander) (Syme pp 509 - 593) ووقع اختيارهما على الجنرال فسباسيانوس (Vespasianus) بطل فلسطين وقاهر اليهود، ولم يستغرق إقناعهم له بقبول المغامرة كثيراً. وتمكن "صناع الأباطرة" من تأمين أنصار له من بين قوات مصر وسوريا

وفلسطين في منتصف يوليو عام 69 ميلادية، ولم ينقص الداعون سوى إعلان الدعوة (Licinius Mucianus). (Turner, jrs 1954 p54)

٢- الجنرال فسباسيانوس يتولى الحكم: (ديسمبر عام 69 ميلادية):

ولما وجد فسباسيانوس الأمر جادا والأمل ممكنا والأنصار كثيرين أحل ابنه تيتوس (Titus) محله في قيادة الحرب ضد المتمردين اليهود. في فلسطين، وسافر الى مصر لكي يؤمن صوامع الغلال المخزونة في وادي النيل حتى يضمن في يده سلاحا استراتيجيا فعالا ضد السلطات الحاكمة في روما نظرا لاعتماد الشعب الروماني في غذائه على قمح وادي النيل، وفي نفس الوقت سار موكيانوس بقوة رومانية عبر شمال آسيا الصغرى والبلقان إلى إيطاليا لكي يجمع أنصارًا جددًا.

وما كاد يصل حتى سمع ان قوات الجيش الروماني في الدانوب والتي كانت قد وقفت الى صف أوتو ضد فيتلليوس قد تمردت على الإمبراطور الأخير لسوء معاملته لها، وأعلنت تأييدها لقوات الشرق الاوسط ودعوتها بتنصيب فسباسيانوس امبراطورا، وسارت قوات منها تحت قيادة ضابط صغير هو أنطونيوس بريموس (Antonius Primus) إلى إيطاليا. (Tacitus VIII; 63-3-4)

وتقدمت القوات المناصرة لفيتلليوس لملاقاة قوات الدانوب وصدتها، ومرة أخرى التقت الجيوش المتصارعة عند مدينة كريمونا في أواخر أكتوبر عام ٦٩ ميلادية، ودارت معركة حامية الوطيس لم تستغرق اكثر من يوم وليلة سحقت فيها قوات فيتلليوس وانهارت معنوياتها بسبب عدم إكتراث قائدها فكفرت به، وتقدمت قوات الدانوب فأحرقت المدينة عن آخرها. (Syme pp 158- 168; p 201)

وهدمت المسرح الذي حكم على قوات الدانوب ببنائه في الصيف السابق، وتدفقت القوات المتعطشة للنهب والسلب والحرق والفتك الى روما. وحاول فيتلليوس أن يحقن الدماء فلجأ إلى شقيق فسباسيانوس وكان اسمه فلافيوس سابينوس (Flavius Sabinus) والذي كان يعمل قائدا لحرس المدينة وأجرى معه مفاوضات تهدف إلى الوصول الى حل سلمى انقاذا للمدينة ومواطنيها، ويقوم هذا الحل على استقالة فيتلليوس وتنازله عن العرش مقابل أن يترك ليعيش حيث يريد. وتوصل الطرفان إلى هذا الحل. (Tacitus III; 63 ; 3-4)

ولكن ما أن علمت فلول قوات الراين المناصرة لـ : فيتلليوس بذلك حتى غضبت لعقد الإمبراطور هذه الصفقة وراء ظهورها فهجمت على القصر وحبست الإمبراطور فيه وحاصرت فلافيوس سابينوس في قلعة الكابيتول ثم ذبحته تحديا لفسباسيانوس ولما وصل الخبر الى قوات الدانوب تقدمت يحدوها الغضب والرغبة في الإنتقام ووصل انطونيوس بريموس الى مشارف العاصمة ودخلها، ودار قتال عنيف في الشوارع والطرق ومن أسطح المنازل (147 Chisholm Hugh, 1911, vol 28 , p)

انتهى بمذبحة كبرى لأنصار فيتلليوس، وقبض على الأخير ونفذ فيه حكم الإعدام علنا وعلى مرأى ومسمع من الجماهير، وذلك في العشرين من ديسمبر عام 69 ميلادية وعانت قوات الدانوب في المدينة سلبا ونهبًا وقتلا وهتكًا، الى أن وصلت قوات موكيانوس الى روما في يناير عام 70 ميلادية ليضع لذلك حدا، وليعيد النظام والأمن

والسلام تمهيدا لوصول الامبراطور فسباسيانوس والذي لم يتمكن من دخول روما قبل نهاية العام نفسه. (148-147 Chishlom , Hugh ,vol 28 , p)

-ثورة أهل بتاقيا Batavia والغال:

ما أن انتهت الحروب الأهلية بين الجيوش الرومانية في ديسمبر عام 69 ميلادية حتى اندلعت حركة تمرد كبرى في بلاد الغال. بدأت هذه الحركة بتمرد ضابط اسمه **جوليوس كيفيلسر (Julius Civilis)** (من أهل هذه البلاد وكان يعمل في خدمة القوات المساعدة الرومانية. وكان أهل بتاقيا العنصر الجرمانى الذين يسكنون الآن منطقة الأراضي الواطئة أي (هولندا)، وكان الرومان قد اعتادوا تجنيد ثمان فصائل (Cohortes) منهم للعمل في القوات المساعدة ولما حاول الرومان مؤخرا تطبيق مشروع الإمبراطور أغسطس القديم في إعادة تنظيم القوات المساعدة بطريقة حازمة غضبت هذه الفصائل لهذا الإجراء. (Charles Riven 2016 p 40)

واستغل قائدها هذا السخط واستمالها إليه منتظرا فرصة للثورة على الإمبراطورية. وجاءت الفرصة عندما دعاه انطونيوس بريموس حاكم ألمانيا السفلى وفلاكوس (Flaccus) حاكم ألمانيا العليا للانضمام الى أنصار الإمبراطور الجديد وإعلان التمرد ضد فيتيلليوس، وفعل ذلك ولكن بعد انتصار قوات الدانوب والشرق الأوسط استمر كيفيليس في الثورة معلنا أن تمرد أهل بتاقيا ليس ضد أي إمبراطور ولكن ضد الاستعمار الروماني بالذات، ودعى أهل الغال للثورة والوقوف معه من أجل استقلال بلاد الغال عن الإمبراطورية، وتدفقت القبائل الجرمانية المعادية لروما عبر الراين.

(J. Classicus and J. Tutor) وأعلن جوليوس كلاسيكوس و جوليوس توتور (148(148Cisholm,Hugh,1911 p)، زعيمًا قبيلة التريفيرين ((Treveri الغالية الانضمام للثورة وتلاههما جوليوس سابينيوس (Sabinus) زعيم قبيلة اللنجونيين (Lingones) الغالين أيضا. وكانوا جميعا من الضباط السابقين في الجيش الروماني ومتمتعين بالجنسية الرومانية، وأعلنوا هدفهم وهو استقلال امبراطورية الغال وجعل عاصمتها مدينة تريفيس (Augusta (Treverorum) بل وانضم إليهم القوات الرومانية المعسكرة على طول نهر الراين، ولكن من الملاحظ أن قرنا ونصف قرن من الاستعمار الروماني المستنير لبلاد الغال كان قد غير الأحوال،

فقد أصبح شعب الغال رومانًا يتحدثون اللاتينية ويتمتعون بترف الحياة الرومانية ونظامها ومن ثم رفضوا الانضمام الى هذه الثورة، وآثروا أن يبقوا موالين لروما مفضلين ذلك على العودة إلى حى الصراعات القبلية التي سادت البلاد قبل استيلاء روما عليها

ولما علم مركيانوس نائب الإمبراطور بأن الخطر قد استفحل أرسل قوة رومانية الى هذه المنطقة سحقت الثورة في مهدها رغم مقاومة أهل بتاقيا حتى نهاية عام 70 ميلادية، وبعد سحق التمرد سلكت روما سلوكا معتدلا إزاء الثوار. فلم تنزع من أحد حقوقه المدنية أو القانونية التي اكتسبها، ولكن في نفس الوقت أجروا تعديلات على وضع القوة البتاقية المساعدة قرب موطنها في هولندا فابعدت عن هذه المنطقة حتى لا تتحرق النفوس مرة أخرى للاستقلال والانفصال، وحدد عدد رجالها ممن يختارون كقواد عليها. وهم في ذلك كانوا ينفذون في الحقيقة مشروع أغسطس الخاص بإعادة تنظيم القوات المساعدة. (456-455 Cornell p)،

٢- تيتوس يضع نهاية لثورة اليهود في فلسطين:

سبق أن تحدثنا عن الظروف التي مرت بها فلسطين من صراعات مريعة بين سكانها اليهود ومن غير اليهود، ثم حدوث الاقتتال بين اليهود أنفسهم:

بين الصدوقيين (Sadducees) الأثرياء وأنصار الرومان و الحضارة الهلينستية من ناحية وبين الفريسيين (Pharisees) المتطرفين والذين كانوا يشغلون المناصب الصغرى في سلك الكهانة اليهودي من ناحية أخرى، وكانوا هؤلاء الآخرين يدعون الى طرد الرومان لأنهم نجسين غير يهود أي (جوييم)، وإقامة دولة يهودية في فلسطين تقوم على تعاليم اليهودية بحذافيرها، وكون هذا الفريق حزبا مقاتلا معاد للرومان هم الزيلوت (Zealot) () معتمدين على محابة ربهم " يهوه " (Jehova) ونصرته لهم،

كما كشفت الوثائق التي عثر عليها حديثا في مغارة قمران المطللة على البحر الميت والمعروفة باسم مخطوطات البحر الميت (Dead sea Scrolls) (H; H; Rowley; 1957, p157-175 P)

(- G; vermes; 19562 p2) عن تعاليم فريق ثالث من اليهود الرّبانيين هم الأسينيين (Essenes) (وترجع تقريبا إلى عام 70 ميلادية)، لقد أدى الأمر إلى إندلاع الثورة عام 66 ميلادية والتي سرعان ما عمت كل فلسطين وطردت الحامية الرومانية من القدس (أورشليم)، وكان يساعد الرومان في ذلك أهل فلسطين من غير اليهود، (G, vermes, 1956) (2p)

وزاد الأمر سواء اعلان الرومان أن اليهود لا يتمتعون بحقوق المواطنة في مدينة قيصرية (Caesarea) عاصمة الإقليم، وعمت الثورة حتى وصلت ربع يهوذا (Judaea) وراح الفلسطينيون يفتكون باليهود في كل مكان ورد اليهود على ذلك بالعدوان عليهم، وامتدت الفوضى، وامتدت ثورة اليهود خارج فلسطين الى سوريا ومصر، ولم يدرك الرومان خطر الثورة اليهودية إلا عندما فتك اليهود بجيش روماني كامل ذهب لسحق الثورة بقيادة كستايوس جالوس حاكم سوريا وانزلوا به هزيمة بشعة.

وإزاء هذه الأخطار أرسل نيرون جيشا كبيرا يبلغ تعدادة خمسون ألفا بقيادة فسباسيانوس السحق الثورة وذلك في عام 67 ميلادية وبالفعل طهر الجيش الروماني جيوب الثوار في معظم أجزاء البلاد وهرب معظمهم للاختفاء في أورشليم داخل قلعتها.

وقام فسباسيانوس بمحاصرة القلعة وهم بالهجوم عليها لولا أن سمع بأنباء الثورة ضد نيرون وما على ذلك من أحداث داخلية، وهم مرة أخرى للهجوم على القلعة بعد تولى قتلليوس العرش الإمبراطورية، ولكن حالة عدم الاستقرار في روما جعلته يؤجل هذا الهجوم لمدة عشرة أشهر أخرى مستغلا اندلاع الصراع بين اليهود أنفسهم داخل اسوار المدينة. ولما دعا مركيانوس إلى تعيين فسباسيانوس إمبراطورا على العرش اضطر الأخير الى تأجيل هذا الهجوم مرة أخرى ثم اضطر أخيرا الى توكيل ابنه تيتوس القيادة المعركة. (Charles Rivens, 2016 p 30 n - 40)

وفي عام 70 ميلادية قام تيتوس بتشديد الحصار حول قلعة أورشليم، وكان للمدينة ثلاثة أسوار كل منها يكون قلعة بذاتها فضلا عن الهيكل وجبل صهيون وجبل الزيتون، وقد أدى الحصار الى انتشار المجاعة والمرض، وفي الوقت المناسب دمر تيتوس الأسوار وهجم على الهيكل وأحرقه ثم استولى على قلعة جبل صهيون بعد قتال

عنيف وبذلك سقطت معاقل اليهود، ودمرت أورشليم وأصبحت دولة يهوذا ولاية رومانية، وأمر تيتوس بحل التنظيمات السياسية والدينية اليهودية وفرض عليهم ضريبة الرأس السنوية ومقدارها دينارين رومانيين (حوالي عشرة قروش مصرية) تدفع لحساب معبد جوبيتر الكابيتولي رب الرومان إمعانا في إذلال اليهود، بعد حرمانهم من الامتيازات السابقة، ثم احتفل تيتوس بإقامة قوس نصر لا تزال بقاياها قائمة قرب الفورم الروماني حتى الآن، وعليه نحت يمثل اسلاب الرومان من المعبد اليهودي حملت في الاستعراض الكبير بمناسبة هذا الانتصار بمدينة روما . Catherine R, 2010; PP. 170-172, 314 - 318)

إن يوسفوس السكندري هو مصدرنا الأول عن هذه الثورة بعد أن قبض الرومان عليه عام 67 ميلادية وهاجر الى روما حيث عاش في كنف القصر الإمبراطوري، وهناك كتب مؤلفه الشهير عن الحرب اليهودية (De Bello Judaico) باللغة الآرامية من أجل يهود بلاد ما بين النهرين الذين كانوا يتحدثون هذه اللغة، لم ترجمة بمساعدة تلاميذه الى اللغة اليونانية المبسطة وذلك في أواخر السبعينات من القرن الأول الميلادي، وفي عام 93 ميلادية انتهى يوسفوس من مؤلفه الثاني عن الآثار اليهودية (Antiquitates Judaicae) وعموما كان يوسفوس محبا للرومان مسالما يكره المتطرفين اليهود، رغم دفاعه المستميت عن الديانة اليهودية، ولهذا منحه الرومان الجنسية الرومانية (P 2016 honor 11-25)

ومن نتائج هذه الثورة أيضا إنشاء الحاخام اليهودي يوحنا بن زاكاي (Johanan Ben Zakkai) المدرسة اللاهوتية في مدينة جينه Jebneh على الساحل الفلسطيني وذلك بعد هروبه من الحصار الروماني لأورشليم، وبدون هذه المدرسة ما حفظت تفاصيل المدرسة الفرنسية اليهودية، كما أسس أحبار اليهود مجمعا دينيا سنهديم (Sanhedrin) جعلوا رئاسته في بيت هليل، وأصبح رئيس السنهديم بالتالي المسئول الأول عن الجالية اليهودية المتبقية في فلسطين، وخلاصة القول بالرغم من أن اليهود دمروا سياسيا إلا أنهم ازدهروا عقائديا في ظلال الإمبراطورية الرومانية.

جزء من استعراض انتصار تيتوس على اليهود حيث ظهرت أسلاب المعبد الكبير في أورشليم وهي البوق الفضي الذي يدعو الناس للصلاة و مائدة القرايين (المينوراه) والشمعدان ذي السبع عيون ومن الجدير بالذكر أن هذه الأشياء أعادها الإمبراطور البيزنطي جستنيانوس قبل عام 565 ميلادية الى أورشليم.

لقد انتهت الثورة اليهودية باستيلاء الرومان على دير المسادا (المصعدة) عام 73 ميلادية (The Observer 1966 ; 22) وحيث كان يعيش فريق من الرهبان اليهود الذين أطلقوا على أنفسهم اسم الأسينيين (Essenes)، ولا يزال هناك عند صخرة المصعدة التي يعرفها الإسرائيليون الآن باسم "المسادا" بقايا الحصون اليهودية وبقايا المعسكر الذي أقامه الرومان هناك، كما وضعوا فرقة كاملة يقودها آمر Legatus عسكري في أورشليم، كما وجد الرومان في ذلك فرصة الاستيلاء على بلاد العرب النبطية (شرق الأردن) ووضعوا فرقة رومانية في إحدى مدنه وهي بوسترا (أو بصرى)، وجعلوا البتراء عاصمة للإقليم كله، وبدأ العمران الروماني يزحف إليها. (p 135 Bloom, JJ, 2010)

ومن أشهر الوثائق التي تغطي تاريخ فلسطين في تلك الفترة مجموعة الوثائق التي عثر عليها عام 1961 في كهف في صحراء الأردن، وهي أرشيف كامل من أوراق البردى يرجع تاريخه الى عام 93 و 94 ميلادية، وتمتد حتى ثورة اليهود في عصر تراجانوس عام 162 ميلادية، وهذه الوثائق مكتوبة باللغة النبطية والآرامية والإفريقية، وتغطي موضوعات شتى مثل عقود البيع والإرث والتنازل وعقود الزواج، كما تشير إلى الإحصاء السكاني الذي أجرى في هذه الولاية العربية القديمة عام 127 ميلادية في عهد الحاكم الروماني سكستوس فلورنتينوس (Sextius Florentinus) وعندما ينتهي العلماء من نشر هذا الأرشيف سوف تظهر الكثير من أسرار حكم الرومان لهذه الولاية العربية في شرق الأردن. (15Vermees Geza, 1977, p)

لقد حرم الرومان على اليهود الاقتراب من أورشليم أو من أطلال معبد سليمان وحائطه التي جعلوها حائط المبكى، وظل هذا الحظر قائما المدة ستين عاما منذ تدمير تيتوس للمعبد، لكن بعض اليهود كان يتسللون من آن لآخر للبكاء على قدس الأقداس.

ويروى التراث اليهودي كيف أن أحد أحبار اليهود واسمه اكيبا (Akkiba) تسلل إلى هيكل سليمان واقتراب من قدس الأقداس حيث يزور يهوه شعبه، وفجأة بدلا من أن يرى نور الله رأى ثعلبا يندفع مرعوبا من الجحر، فتحسر على هجران يهوه لشعبه المختار، وبقيت أورشليم اطلالا حتى قررها دريانوس بناء مدينة رومانية مكانها تقام للرب الروماني جوبتر الكابيتولي تسمى باسمه وهو ايليا كابيتولينا (Aelia Capitolina) ويتوسطها معبد كبير له يدفع اليهود له الجزية السنوية بدلا من معبدهم وقد أثار هذا التصرف غضب اليهود مرة ثانية فقاموا بثورة ثانية تزعمها حاخام يهودي اسمه شمعون باركوخبا ادعى أنه المسيح المنتظر، ومرة ثانية فتك الرومان باليهود بلا رحمة وكانت الضربة القاضية التي وضعت نهاية مأسوية لليهود جروها على أنفسهم بسلوكهم الغريب منذ تسألهم الى فلسطين مدعين أن الرب أعطاهم لهم دون غيرهم من البشر الذين اعتبروهم أقل مرتبة منهم. (334 Mor M, 2016, p)

٢- صراع القوات الرومانية ومستقبل الإمبراطورية:

لا نستطيع أن نترك أحداث عامي 68 و 69 ميلادية تمر دون تعليق. لقد كشفت هذه الأحداث حقائق مرة أمام الشعب الروماني بخصوص نظام الحكم الذي أوجده أغسطس وحاول فيه أن يخفي المشاكل القديمة وراء واجهات جذابة، ولم يحاول خلفاؤه أن يجرأوا على تعديل هذه الأخطاء لقد برزت أمام الشعب الروماني ثلاثة مشاكل هي جوهر الصراع داخل الإمبراطورية مستقبلا، أولها: التساؤل عن حدود منصب المواطن الأول والأسس الدستورية التي يقوم عليها، و ثانيهما: مدى تجاوب شعوب البحر المتوسط مع روما، و ثالثها وأخطرها: ما هو دور الجيش الروماني وحدوده خاصة فيما يتعلق بالحكم الداخلي ؟

فيما يتعلق بالمشكلة الأولى فقد كان هناك غموض في طبيعة منصب المواطن الأول وعدم تحديد المؤهلات الخاصة لتولي هذا المنصب، فمثلا تولى ليبريوس بعد أغسطس لأن الأخير قد تبناه بل وأشركه في السلطة التريبونية معه أثناء حياته ثم جاء جايوس الى الحكم بناء على تفضيل الحرس الإمبراطوري له، وكذلك كلاوديوس الذي دفع بالهدايا إلى هذا الحرس بعد توليه.

وتولى نيرون لأن كلاوديوس كان قد تبناه و لأن أمه قتلت زوجها الإمبراطور لتفسح له الطريق الى العرش، هكذا لم يكن هناك أسس ثابتة سواء قانونية أو أخلاقية يختار على أساسها الإمبراطور. ولا يوجد قاسم مشترك أعظم بين هؤلاء الأباطرة سوى أنهم يمتون بصلة مباشرة أو غير مباشرة للأسرة اليوليوكلودية التي وضع أساسها أغسطس وزوجته ليفيا. (143 Anthony , A, 2016 ; p)

والحق يقال لقد حاول فسباسيانوس أن يضع حدا لهذا بأن وضع تقليدا جديدا ثابتا وهو اختيار الخليفة عن طريق توريث العرش لأكبر الأبناء. فقد كان له ولدان عني بتربيتهما لتولى شئون الإمبراطورية من بعده، إلى جانب ذلك بدد الغموض حول سلطات المواطن الأول وواجباته ووضع ذلك في لائحة تشريعية عرضها على الشعب ليبيدي موافقته عليها في بداية عهده بالحكم، ويعرف ذلك " بأمبريوم فسباسيانوس ". ولحسن الحظ وصل البنا جزء كبير من هذه اللائحة وذلك لأن أحد الزعماء الوطنيين الإيطاليين في القرن الرابع عشر الميلادي واسمه كولا دي رينزي (Cola di Rienzi) نسخه ونشره في روما أثناء مقاومته للاستبداد البابوي ليبين له و لمواطنيه أن الرومان القدماء آمنوا أن سلطة الحاكم يجب أن تكون مستمدة من الشعب وبموافقته. (8; 405 _ Domitian , 1911 ; p)

أما بخصوص القضية الثانية، فقد أدرك الرومان أن حركات التمرد في بتافيا (هولندا) وبلاد الغال فضلت لأن الذين قاموا بها كانوا محدودي العدد، وذلك لمعارضة شعوب هذه الولايات الثورة والخروج عن الإمبراطورية، وأدركوا أن ذلك يرجع أولا وأخيرا للعلاج الطيب، وإلى نظرة روما التحررية إلى هذه الشعوب، وحسن معاملتها لهم قبل التمرد وبعد التمرد، وبدأت الإدارة الرومانية تصبح أكثر تفهما وتسامحا مع هذه الشعوب خاصة الجرمان والغال، حتى نظرة الرومان إلى اليهود تغيرت بالرغم من أنهم كانوا أكثر شعوب الإمبراطورية مشاكسة وشراسة، حقا لقد فتك بهم تيتوس عام 70 ميلادية وحرق معبدهم وحل احزابهم والى مجلسهم الوطني المعروف باسم السنهدريم (Sanhedrin) وكذلك سلك الكهانة العليا،

ولكنه أبقى لهم بعض الامتيازات الخاصة استجابة عواطفهم القومية مثل الإعفاء من الخدمة

في الجيش الروماني وذلك مقابل ضريبة الرأس السنوية بالرغم من أنها أصبحت تدفع المعبد جوبيتر رب الرومان بدلا من هيكلمهم في أورشليم وهو تسامح كبير لشعب سبب للرومان الكثير من المضايقات. أما بخصوص مشكلة الجيش ودوره (R; Symez ; Tacitus pp 157- 175) في الحكم فقد أحس مؤرخ الرومان الكبير تاكيتوس

بها عندما علق على عام الأباطرة الأربعة بقوله: " لقد كشف القناع عن سر الإمبراطورية " أي أن إدارة الإمبراطورية أصبحت تعتمد داخليا وخارجيا على الجيش وكذلك مستقبلها. وهذا حقيقي، ولكن كان لا يزال في أعماق فرق الجيش الروماني المتعددة على الجبهات المختلفة ضمير روماني حي، كما انهم كانوا يكرهون في أعماقهم الاقتتال فيما بينهم، بل كانوا على استعداد للاستماع الى كلمة تصدر من قائد قوى عاقل، وبالفعل امتنع الجيش عن تكرار ما حدث عام 68 و 69 ميلادية وهي نفس الأحداث التي وضعت حدا للجمهورية الرومانية منذ قرن مضى، وظل الجيش يعاف هذا السلوك لمدة مائة سنة ونيف حتى عام 193 ميلادية عندما تفجر الصراع بعد اغتيال الإمبراطور برتيناكس (Pertinax) وذلك راجع الى عناية الأباطرة بالجيش وإصلاح أحواله ورفع مستوى الجنود والضباط. (

27 David Magie , 1960 p

وبالرغم من ذلك تركت المعارك والاقتتال آثارا عميقة على الإمبراطورية، فقد تناقص عدد الرومان في الجيش، وبدأ الإيطاليون يملؤون الكتائب والفرق. وهؤلاء كانوا يتعاطفون مع إخوتهم وشعوبهم الإيطالية أكثر من تعاطفهم مع أبناء إقليم لاتيوم، ولو اعتبرنا الإيطاليين إلى حد ما روماناً فما بالنّا الحال عندما تضاعف عدد المتطوعين الإيطاليين بسبب انخفاض معدل المواليد في المقاطعات الإيطالية والتّجاء روما إلى الجرمان مثلاً ؟ بالرغم من أن الجيش الروماني لم يعد رومانيا كما كان في الماضي، بل أكثر منه إيطاليا وكان الإيطاليون يحسون في قرارة أنفسهم بالظلم الاجتماعي وانعدام الأمن في مقاطعته بعد سلوك القوات الرومانية الهمجي في مدينة كريمونا أثناء الفتنة الكبرى عام 68 ميلادية، (27 Charles Rovens , n2016 ; p)

كما أن مستقبل اعتماد الجيش على الإيطاليين أصبح يعني أن مستقبل الإمبراطورية يتوقف لا على الرومان بل على أبناء المقاطعات الإيطالية، خاصة أن الرومان بدأوا يشككون في نوايا الإيطاليين الذين عبروا عن سخطهم لسوء الأحوال في مقاطعتهم بإنشاء الجمعيات الخيرية لمحاربة الفقر بين شعوبهم كرد فعل على الاستغلال وسوء الإدارة الرومانية.

المصادر والمراجع :

- Lupum se auribus tenere (Suetonius Tiberius .25. 1)
- Annales . 83 cf .Syme . Tacitus p 183.
- لقد ترك 'إعدام الجنرال كوربولوتأثيرا شديدا على قادة الجيوش و هو الذي دفع القيادة إلى الثورة على الأباطرة لا طمعا في الحكم بل خوفا من الانتقام , Tacitus .Histories II75 ,6
- سيد أحمد علي الناصري، تاريخه الإمبراطورية الرومانية، مصر، 1977، ص 12 م
- ولهذا جاءت دعوة السيد المسيح تفصل بين الدولة و المعبد عندما سأله بعض اليهود الفريسيين بخبث بهدف الإيقاع به : أيجوز أن تعطى الجزية لقيصر ؟ فرد عليه بذلك "" أعطوا لقيصر ما لقيصر وما لله
- لله "" متى، الإصحاح 28.
- Patrick O Donovan . Last vbStand of The Zealots . The Observer magazine .?November 19866. p 14 . and 19
- حيث أمدنا بخرائطك لتحخرلاكات الجيوش الرومانية لقمع الثورة والجدول الزمني لذلك، بل وأسماء بعض الضباط الرومان المشاركين في العملية، فضلا عن صور عظام المتمردين اليهود الذين ألقوا بأنفسهم من فوق صخرة المتسادا (المصعدة)
- كانت كلمة السر هذه بالفعل التي استخدمها جالبا عندما قام بانقلابه ثم خلدها بأن سكها على عملته ينظر : 20 [1.no](#) . i pol . Mattingly Coins of the Roman Empire . vol .
- Tacitus . Historiae i-1-3 cf Syme . op cit pp 203-206
- cf .W. Henderson . Civil War and Rebellion in the Roman Empire . London 1928 p
- Syme ocit pp 52 -6 p 205
- Tacitus Histories ii . 40 i
- R Syme . op cit pp 198 - 190p 205 f
- cf Syme . pp 509- 593
- عن حياة جوليوس الكسندر ودوره أنظر مقالة الأستاذ :
- E .G .Turner .JRS . 1954 p 54 ff.
- Tacitus Historiae III.-63 ; 3-4.
- Syme ; op cit ;po p 158 -168; .p 201;
- Tacitus. Ibidem
- Syme . op cit p 172 -175
- أنظر خريطة الراين والدانوب
- عن وثائق البحر الميت و الجدل العنيف الذي أثارته بين العلماء :
- H.H.Rowley Dead Sea Scrolls and The New Testament ,London , 1957 P. G .Veremes ,The Dead Scrolls in English , London1962.. Burrow . The Dead Seas Scroll 1956 ; TBY The same author ; More light on the Dead Seas scrolls 1958 , TH Gaster The scriptures of the Dead Sea Sec 1957 .Vander der Ploeg ., the excavations at qumran 1958 ;F ; M Cross . The Ancient Liubrary at qumran

1959 . ;E F . Studcliffe . the Monks of qumran 1960.; R de Vaux . L'Archéologie et les manuscrits de la Mer Morte 1961

- R Syme . Tacitus . " عثر في فلسطين حديثا على عظام 960 متمردي يهودي ألقوا بأنفسهم من فوق صخرة " المتسادا " المطلة على البحر الأحمر بعد أن قاوموا الرومان حتى عام 73 ميلادية : أنظر التحقيق الصحفي November 22s. The Observer .المصور عن هذا الإكتشاف في العدد الخاص من جريدة الأوبزرفر بصرف النظر عن وجهة نظر الجنرال البروفيسور الإسرائيلي يادين المتطرفة بشأن مقاومة الزيلوت . 1966. الرومان
- R. Syme . Tacitus. Anthony A, Barret Elaine Fanthan John ,Yardley ,The Emperor Nero , Princeton univ press 2016
- Charles A v, History of the Roman 1996 ,
- Grant Michael , The Roman Emperors 31bc - ad 476 , New York, 198(Earnest Carry , Rome History 1927
- Cassius Dio , trans Earnest Carry , vol iii , L xiii,Omissi , Adrastos , Emperors and usurpers in the later Roman , Oxford - univ press , 2018
- Charles Rivens , The year of the Four Emperors the history of the civil war to succeed Nero as Roman Emperor, 2016 ,
- Doimitian , Encyclopaedia Britannica , 11th , ed ; 1911
- Vicolet Claud , Space geography and politics in the early Roman Empire univ michigan , press 1991
- Honora Howell , Josephus,s judean war , 2016
- Chislon Hugh , Vitellius , Aulus , Encyclopaedia Britannica, Cambridge university press vol 28 , 1911
- Good man , M , Judaism in the Roman world , Boston brik , 2007
- Cornel , The beginning of Rome Bloom , J , J ,the Jewish Revolts Against Rome , AD 66 b-135 a, Military Analyst , Mc farland 2010
- Vermes Geza, Dead Sea Scrolls qumran in perspective, London
- More , M , The second Jewish Revolt , the Bar kokhba war , 2016